

القَادَةُ الْأَبْرَارُ

الْإِمَامُ جَعْفَرُ الصَّادِقِ



الإمام جعفر الصادق



القادة الأبرار

الإمام جعفر الصادق^(ع)

الدار الإسلامية

حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م



كورنيش المزرعة / بناية المحسن سنتر / الطابق الثاني
هاتف ٨١٦٦٢٧ / ص . ب : ١٤٥٦٨ تلکس ٢٣٢١٢ - غدير
فرع ثاني / حازة حريك مفرق الحلباوي / هاتف ٨٣٥٦٧٠

القادة الأبرار

الإمام الصادق (ع)

الاسم: الإمام جعفر الصادق (ع)

اسم الأب: الإمام محمد الباقر (ع)

اسم الأم: فاطمة

تاريخ الولادة: ١٧ ربيع الأول سنة ٨٣ للهجرة

محل الولادة: المدينة

تاريخ الاستشهاد: ٢٥ شوال سنة ١٤٨ للهجرة

محل الاستشهاد: المدينة

محل الدفن: المدينة (البقيع)

بِاسْمِهِ تَعَالَى

مَا قَبْلَ الْإِمَامَةِ:

بعد ثلاثٍ وعشرينَ سنةً من واقعة كربلاء، رُزِقَ
أهلُ بيتِ رسولِ اللَّهِ (ص)، وليداً ذَكَراً أُسْمُوهُ جَعْفَرُ،
وأبوه هو الإمامُ مُحَمَّدُ الباقرُ (ع)، أمّا أمُّهُ فَهِيَ السَّيِّدَةُ
فاطمةُ. وجدُّهُ هو الإمامُ زينُ العابدينَ (ع)، وهو كما
نعرفُ، الرَّجُلُ الوَحِيدُ الَّذِي بَقِيَ من أهلِ البيتِ على
قيدِ الحياةِ بعد فاجعةِ كربلاء.

عاشَ جَعْفَرُ مع أبيهِ وإلى جانبِ جدِّهِ زينِ
العابدينَ، وحينَ بلغَ الثالثةَ عشرةَ من عُمرِهِ، تُوُفِّيَ
جدُّهُ العَظِيمُ بعدَ حياةٍ مَلِيَّةٍ بالتَّقْوَى وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

نشأَ جَعْفَرُ نشأةً صالِحَةً في بيتِ طاهرٍ، تَلَقَّى فيه
أصولَ الصُّدُقِ والإيمانِ، وقد لُقِّبَ فيما بعدُ
بـ «الصَّادِقِ»، أي الَّذِي يَقُولُ الحَقَّ والصُّدُقَ دائماً،
وصارَ يُعرَفُ بـ «جَعْفَرِ الصَّادِقِ».

في تلك الأيام كان عبد الملك بن مروان حاكماً
في بلاد المسلمين، وكان ممثله يدعى الحجاج بن
يوسف، وهو رجل قاسي القلب عديم الرحمة، أنزل
أشد العذاب والأذى بأصحاب وأهل أمير المؤمنين
علي عليه السلام، فكان يلقي بهم في السجون،
وينكل بهم، وكان بيت الإمام زين العابدين (ع)
موضوعاً تحت مراقبة شديدة، وقد حُظر على الجميع
أن يقربوا هذا البيت الكريم، وفي الوقت الذي كان
فيه أعداء آل البيت أحراراً يقولون ما شاءوا، فقد حُرِمَ
أهل بيت الرسول من هذه الحرية.

وبعد موت عبد الملك بن مروان استلم الحكم
ابنه الوليد، وكان هذا أشد من أبيه ظلماً وجراً على
آل بيت رسول الله (ص)، كما كان يجهرُ بعدائه
للإسلام وأحكامه، لكن حكمه لم يطل كثيراً، فتسلمه
من بعده عمر بن عبد العزيز.

كان الإمام الصادق عليه السلام، في تلك الفترة
من الزمن قد تجاوز أيام شبابه، وكان أبوه الباقر عليه
السلام إماماً وقائداً للأمة. وفي عهد عمر بن
عبد العزيز لقي أهل البيت (ع) معاملة أفضل من

السَّابِقِ ، وَاسْتَعَادُوا شَيْئاً مِنْ حَرِيَّتِهِمْ ، وَصَارَ بِمَقْدُورِ
الإِمَامِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَجْلِسَ إِلَى النَّاسِ ،
يُحَدِّثُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمْ أَحْكَامَ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ،
إِلَى جَانِبِ عُلُومٍ أُخْرَى كَثِيرَةٍ . لَكِنْ حُكِمَ عَمْرَ بْنَ عَبْدِ
الْعَزِيزِ كَانَ قَصِيراً جِداً . وَخَلَفَهُ فِي الْحُكْمِ هِشَامُ بْنُ
عَبْدِ الْمَلِكِ .

كَانَ هِشَامُ رَجُلًا شَدِيدًا وَقَاسِيًا ، لَا يَكْتُمُ بُغْضَهُ
لَأَهْلِ الْبَيْتِ ، وَقَدْ عَانَى الإِمَامُ الْبَاقِرُ كَثِيراً مِنْ شِدَّةِ
هِشَامِ ، لَكِنْ قَسَوْتَهُ - عَلَى أَيِّ حَالٍ - لَمْ تَصِلْ إِلَى
دَرَجَةِ اسْلَافِهِ . وَيُذَكَّرُ أَنَّ هِشَاماً اسْتَدْعَى الإِمَامَ الْبَاقِرَ
مَرَّةً ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَسْأَلَهُ حَاجَةً يَقْضِيهَا لَهُ ، لَكِنْ
الإِمَامَ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَدْعَهُ لِيَرْجَعَ إِلَى أَهْلِهِ فِي الْمَدِينَةِ ،
لِيَتَابَعَ عَمَلَهُ فِي الْوَعْظِ وَالْإِرْشَادِ . فَوَافَقَ هِشَامُ ، وَعَادَ
الإِمَامُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، كَمَا عَادَ إِلَى دُرُوسِهِ وَمَجَالِسِهِ فِي
مَسْجِدِ جَدِّهِ الرَّسُولِ (ص) . وَقَدْ اجْتَمَعَ حَوْلَهُ خَلْقٌ
كَثِيرٌ مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ ، وَالتَّبَحُّقِ بِدُرُوسِهِ الشَّبَابُ
وَالشُّيُوخُ ، وَمِنْ ذَلِكَ الْحَيْنِ ، أَصْبَحَتْ عَائِلَةُ الرَّسُولِ
(ص) مَوْضِعَ اِهْتِمَامٍ كَبِيرٍ مِنَ النَّاسِ ، وَكَانَ الْبَاقِرُ
عَلَى دِرَايَةِ بَعْلُومٍ كَثِيرَةٍ ، يَتَلَقَّاهَا عَنْهُ تَلَامِيذُهُ فَيَتَشَرُّونَ



فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ نَحْوَ الْمُدُنِ وَالْقُرَى، يَجْلِسُونَ إِلَى
النَّاسِ وَيُعَلِّمُونَهُمْ مَا تَعَلَّمُوهُ مِنَ الْإِمَامِ، حَتَّى انْتَشَرَتْ
أَحْكَامُ الْإِسْلَامِ وَعُلُومُهُ وَمَعَارِفُهُ انْتِشَارًا كَبِيرًا.

شَعَرَ أَعْوَانُ هِشَامٍ بِالْخَطَرِ الَّذِي تُشَكِّلُهُ مَجَالِسُ
الْإِمَامِ فِي تَوْعِيَةِ النَّاسِ، وَكَشَفَ الْحَقَائِقَ أَمَامَهُمْ،
وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ بِمَقْدُورِهِمْ عَمَلُ شَيْءٍ، لِأَنَّ حُكْمَ بَنِي
أُمَيَّةٍ كَانَ قَدْ بَدَأَ يَتَّجِهُ نَحْوَ الضَّعْفِ، وَصَارَ النَّاسُ فِي
كُلِّ مَكَانٍ يُجَابِهُونَ عُمَالَ هِشَامٍ وَيَتَمَرَّدُونَ عَلَى
أَوْامِرِهِمْ، وَهَكَذَا تَمَكَّنَ الْإِمَامُ (ع) مِنَ الِاسْتِمْرَارِ فِي
دُرُوسِهِ، كَمَا اسْتَمَرَ تَلَامِيذُهُ بِالْإِزْدِيَادِ وَالِانْتِشَارِ.

جَامِعَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ:

تُوُفِّيَ الْإِمَامُ الْبَاقِرُ (ع) سَنَةَ ١١٤ لِلْهِجْرَةِ، بَعْدَ أَنْ
أَوْصَى بِالْإِمَامَةِ لِابْنِهِ جَعْفَرَ الصَّادِقِ (ع)، وَقَدْ اِزْدَادَ
خَوْفُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنَ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَنْ
ذِي قَبْلِ، لِأَنَّهُ انْصَرَفَ إِلَى مُتَابَعَةِ أَعْمَالِ أَبِيهِ، بِهَمَّةٍ
وَنَشَاطٍ شَابٍّ فِي الْحَادِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ، مُمْتَلِئٌ نَشَاطًا
وَحَيَوِيَّةً، فَاهْتَمَّ بِجَامِعَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ، الَّتِي أَسَّسَهَا أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَرَعَاَهَا مِنْ بَعْدِهِ أَبْنَاؤُهُ



الأطهار، وخاصةً أبوه الإمام الباقر عليهم جميعاً أزكى السلام، وشملت نشاطات هذه الجامعة كافة العلوم والمعارف، وكان لها دور كبير في صون الإسلام من الانحراف والتشويه، ونشر تعاليمه وأحكامه.

بعد موت هشام سنة ١٢٥ للهجرة، ازداد ضعف الحكم الأموي، وقامت في ذلك الوقت جماعتان تناهضان الحكم وتطالبان بالخلافة، والتحق بهما كل المعارضين للحكم.

كانت إحدى هاتين الجماعتين بقيادة أحد أبناء الإمام الحسن (ع)، أما الثانية فكانت بقيادة أحد أبناء العباس، عم الرسول (ص)، قامت تطالب بالثأر لدماء الشهداء، وأدعت الولاء لآل بيت الرسول (ص).

كان كل هذا يجري في وقت أنصرف فيه الإمام الصادق إلى العمل على نشر العلوم والمعارف عن طريق إقامة المجالس، التي كان يحضرها كل الذين ينازعون بني أمية الحكم، حتى أن العباس السفاح والمنصور وغيرهما من كبار بني العباس، كانوا



يَحْضُرُونَ دُرُوسَ الْإِمَامِ ، مُتَظَاهِرِينَ بِالْوَلَاءِ لِأَهْلِ
الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

الإمام (ع) في مُوَاجَهَةِ الْأَحْزَابِ :

فِي خِصْمٍ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ كَانَتْ كُلُّ مِنَ الْجَمَاعَتَيْنِ
تَسْعَى لِلتَّقَرُّبِ مِنَ الْإِمَامِ الصَّادِقِ (ع) وَالِدَعْوَةِ إِلَيْهِ ،
كَيْ تَضْمَنَ بِذَلِكَ النِّجَاحَ لِدَعْوَتِهَا هِيَ .

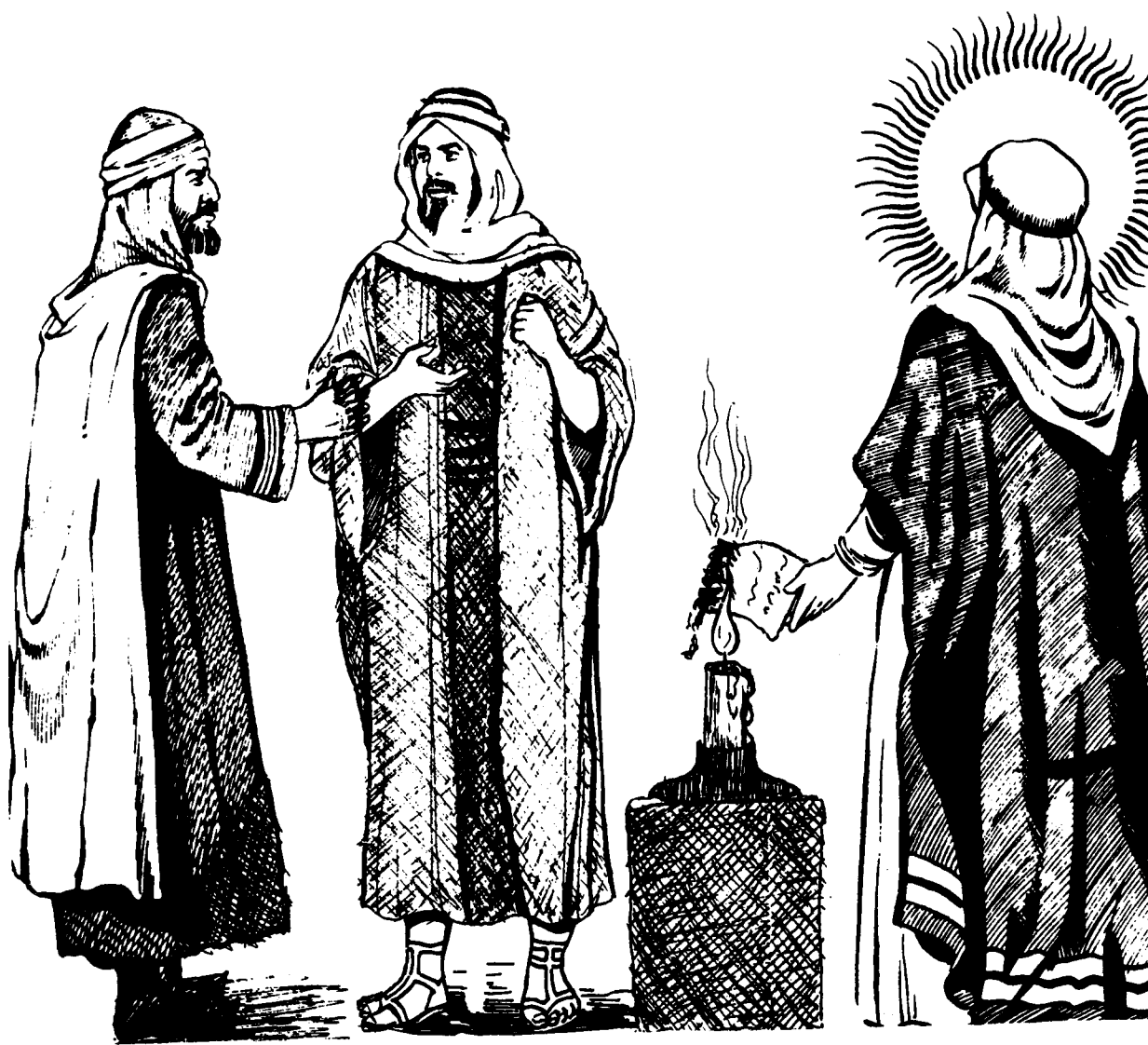
أَمَّا آلُ الْحُسَيْنِ فَلَمْ تَكُنْ دَعْوَتُهُمْ قَدْ اسْتَكْمَلَتْ
نُضُوجَهَا بَعْدُ ، عَلَى النَّقِيزِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ ، الَّذِينَ
كَانُوا أَكْثَرَ تَعَطُّشًا لِلْمُلْكِ ، فَقَدْ نَجَحُوا فِي جَمْعِ
الْأَنْصَارِ حَوْلَهُمْ ، وَحَوْلَ دَعْوَتِهِمْ ، لِمَا كَانَ النَّاسُ
يُعَانُونَهُ مِنْ ظُلْمِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَلِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَرَوْنَ فِي
حَرَكَتِهِمُ الْأَمَلَ بِالْخِلَاصِ مِنْ هَذَا الظُّلْمِ . كَمَا أَنَّ بَنِي
الْعَبَّاسِ رَفَعُوا شِعَارَ الثَّأْرِ لِدِمَائِ آلِ بَيْتِ الرَّسُولِ (ص)
وَشِعَارَ تَحْرِيرِ السُّجَنَاءِ مِنْ سُجُونِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَإِعَادَةِ
الْحُقُوقِ إِلَى أَصْحَابِهَا .

وَكَانَ مِمَّنْ اتَّحَقَّ بِحَرَكَتِهِمْ رُجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ
النُّفُوزِ وَالْقُوَّةِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ ، وَهُمَا أَبُو مُسْلِمٍ
الْخُرَاسَانِيُّ وَأَبُو سَلَمَةَ الْخَلَّالُ ، وَكَانَا يَدْعُوَانِ النَّاسَ

إلى مُناصرة بني العباس ومُحاربة بني أُمّية، وكان لهُما
تأثيرٌ كبيرٌ في مجرى الأحداث. لكنَّهُما سرعان ما
اكتشفا أن بني العباس لا يَخْتَلِفونَ عن بني أُمّية في
شيءٍ، وأنَّ ادِّعاءاتِهِم بالثَّارِ للشُّهداءِ والولاءِ لآلِ البيتِ
كانت كاذبةً، تخفي وراءها أطماعَهُم.

عند ذاك وَجَّهَ أبو مسلمٍ وأبو سَلَمَةَ كِتَاباً لِلإمامِ
الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَعرِضانِ عَلَيْهِ فيه أنْ يَكونَ قَائِداً
لِلتَّحَرُّكِ ضِدَّ الحُكْمِ الأُمويِّ، كما يَعرِضانِ عَلَيْهِ البيعةَ
بِالْخِلافةِ. لكنَّ الإمامَ ما إنْ تَسَلَّمَ كِتَابَهُما حتَّى أَحرَقَهُ
أمامَ الحاضِرِينَ في مَجْلِسِهِ، وكانَ تَصَرُّفُهُ هذا أَبْلَغُ رَدٍّ
على دَعْوَةِ الرَّجُلَيْنِ، لأنَّهُ يَعْلَمُ حَقَّ العِلْمِ أَنَّهُما
يَسْعيانِ وراءَ مَصالِحِهِما الشَّخْصِيَّةِ، وليسَ وراءَ
مَصالِحِ المُسلمِينَ. وَكَتَيْبَةُ لِرَفْضِ الإمامِ
لِعَرَضِهِما، فَقَدْ التَّحَقَّقَ بِالسَّفَاحِ وَالْمَنْصُورِ العَبَّاسِيَّيْنِ،
على أنْ يَكونا وَزِيرَيْنِ لَدَيْهِما.

وأخيراً وَبَعْدَ مَعْرَكَةٍ كَبِيرَةٍ هُزِمَ فيها مَروانُ بنُ
الحَكَمِ آخِرُ الحُكَّامِ الأُمويِّينَ، وَتَسَلَّمَ الحُكْمَ أبو
العَبَّاسِ السَّفَّاحُ، واسمُهُ يُغْنِي عن وَصْفِهِ. فَعَيَّنَ أبا
سَلَمَةَ وَزيراً لَهُ، وكانتْ نِهايَةُ أَبِي سَلَمَةَ على يَدَيِّ



رفيقه أبي مُسْلِمٍ فيما بَعْدُ.

كَانَ السَّفَاحُ يَدَّعِي الْمِيلَ إِلَى أَهْلِ بَيْتِ الرَّسُولِ
(ص)، وَقَدْ رَفَعَ شِعَارَ الثَّأْرِ لِشُهَدَاءِ كَرْبَلَاءَ، وَلِهَذَا كَانَ
مُجْبَرًا فِي أَوَّلِ عَهْدِهِ أَنْ يَسْلُكَ مَسْلَكَ الْمُدَارَاةِ وَاللِّينِ
مَعَ الْإِمَامِ الصَّادِقِ (ع)، وَلَكِنْ إِلَى حِينٍ ..

«الخُمْسُ» عَامِلُ اسْتِقْلَالٍ

فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ كَانَ الْفُقَهَاءُ وَالْعُلَمَاءُ يَتَقَاضَوْنَ
حُقُوقَهُمْ مِنَ الدَّوْلَةِ، وَكَانُوا يُرَافِقُونَ الْحُكَّامَ فِي
تَحْرُكَاتِهِمْ إِلَى الْمَسَاجِدِ وَغَيْرِهَا، وَيَحْرِصُونَ عَلَى
رِضَاهُمْ وَتَبْرِيرِ تَصَرُّفَاتِهِمْ، أُولَئِكَ هُمْ وَعَاظُ السَّلَاطِينِ،
وَكَانَ النَّاسُ يَدْفَعُونَ إِلَى الدَّوْلَةِ أَمْوَالَ الْخُمْسِ وَالزَّكَاةِ
وَالْخَرَاجِ، فَتَدْفَعُ الدَّوْلَةُ حُقُوقَ عُمَّالِهَا وَمُوظَّفِيهَا، وَمِنْ
جُمْلَتِهِمُ الْفُقَهَاءُ وَالْعُلَمَاءُ، مِنْ هَذِهِ الْأَمْوَالِ .

أَمَّا الْإِمَامُ الصَّادِقُ وَأَصْحَابُهُ، فَكَانُوا بَاعِدِينَ كُلَّ
الْبُعْدِ عَنْ هَذِهِ الزُّمَرِ مِنَ الْمُتَنَفِّعِينَ، لِأَنَّ الْإِمَامَ كَانَ
يَعْتَبَرُ الْحَاكِمَ مُغْتَصِبًا لِلْخِلَافَةِ، وَأَنَّ التَّعَامُلَ مَعَهُ هُوَ
تَعَامُلٌ مَعَ الطُّغَاةِ وَالظَّالِمِينَ . وَكَانَ أَصْحَابُ الْإِمَامِ،
وخاصَّةً الْبَاعِدُونَ مِنْهُمْ عَنْ رِقَابَةِ الْحُكَّامِ، يُؤَدُّونَ

الخُمْسَ وَالزَّكَاةَ إِلَى الْإِمَامِ ، فَيُنْفِقُهَا فِي وُجُوهِهَا
الشَّرْعِيَّةِ ، وَهَكَذَا حَفِظَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى آلَ بَيْتِ
رَسُولِهِ مِنْ أَيِّ ارْتِبَاطٍ بِأَجْهَزةِ الْحُكْمِ الظَّالِمِ .

أَدْرِكِ السَّفَاحُ الْعَبَّاسِيُّ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ أَيُّ سُلْطَةٍ عَلَى
الْإِمَامِ الصَّادِقِ (ع) . كَمَا أَدْرِكُ أَنَّ حِسَابَاتِ الْإِمَامِ فِي
تَحْصِيلِ الْحُقُوقِ وَفِي وُجُوهِ انْفَاقِهَا ، تَخْتَلِفُ كَثِيرًا عَنْ
حِسَابَاتِ الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ الْمُرْتَبِطِينَ بِأَجْهَزةِهَا ، وَكَانَ
يَغِيظُهُ أَنَّ الْإِمَامَ بَعِيدٌ عَنْ تَسْلِطِهِ وَتَحْكِيمِهِ ، فَكَانَ
يَسْتَدْعِيهِ أَحْيَانًا إِلَى مَقَرِّهِ فِي الْأَنْبَارِ قُرْبَ الْكُوفَةِ ،
فِيُعَاتِبُهُ حِينَئِذٍ بِلَهْجَةٍ لَا تُخْفِي مَشَاعِرَهُ الْحَقِيقِيَّةَ نَحْوَهُ ، أَوْ
يُحَاوِلُ اسْتِمَالَتَهُ أَحْيَانًا أُخْرَى ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَجْرُؤُ
عَلَى إِيْذَانِهِ عَلَنًا ، لِأَنَّ هَذَا يَنْتَاقِضُ مَعَ ادِّعَائِهِ الْوَلَاءِ
لِآلِ بَيْتِ الرَّسُولِ (ص) .

وَفِي سَنَةِ ١٣٦ لِلْهَجْرَةِ هَلَكَ السَّفَاحُ ، وَحُلَّ مَحَلَّهُ
أَخُوهُ الْمَنْصُورُ .

الْإِمَامُ بِمُوَاجَهَةِ الْمَنْصُورِ :

كَانَ الْمَنْصُورُ يَتَمَتَّعُ بِسُمْعَةٍ طَيِّبَةٍ بَيْنَ النَّاسِ ، الَّذِينَ
خَدَعَتْهُمْ الْمَظَاهِرُ ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ ؟ أَلَمْ يُقَاتِلْ

طُغَاةَ بَنِي أُمَيَّةَ سَنَوَاتٍ عَدِيدَةً؟ أَلَمْ يُقَدِّمَ مُسَاعِدَاتٍ
جَمَّةً لِلسُّجَنَاءِ الْعَلَوِيِّينَ؟ أَلَمْ يَتَحَدَّثْ كَثِيرًا عَنْ شُهَدَاءِ
كَرْبَلَاءَ؟ نَعَمْ، لَقَدْ تَظَاهَرَ بِكُلِّ هَذَا! وَبِهَذِهِ الْخَلْفِيَّةِ
تَرَبَّعَ الْمَنْصُورُ عَلَى كُرْسِيِّ الْحُكْمِ.

أَمَّا الْإِمَامُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَدْ كَانَ يَعْرِفُ
الْمَنْصُورَ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ، فَلَكُمْ حَضَرَ هَذَا مَجَالِسَهُ، وَبَادَلَهُ
الْأَحَادِيثَ، وَسَأَلَهُ عَنْ مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ. أَجَلْ، كَانَ يَعْرِفُهُ
تَمَامَ الْمَعْرِفَةِ، وَكَانَ يَدْعُوهُ بِـ «جَبَّارِ بَنِي الْعَبَّاسِ».

كَانَ سُلُوكُ الْمَنْصُورِ نَحْوَ الْإِمَامِ يَتَّسِمُ فِي الْبِدَايَةِ
بِالاحْتِرَامِ الشَّدِيدِ، فَكَانَ يَدْعُوهُ إِلَيْهِ وَيُجْلِسُهُ إِلَى
جَانِبِهِ، وَيَأْمُرُ أَوْلَادَهُ بِالْجُلُوسِ إِلَيْهِ، وَالتَّزَوُّدِ مِنْ عُلُومِهِ
وإِرْشَادَاتِهِ. وَكَانَ يَرْمِي مَنْ وَرَاءَ هَذَا التَّصَرُّفِ إِلَى
اِخْتَوَاءِ الْإِمَامِ وَاسْتِمَالَتِهِ إِلَيْهِ، فَيَجْعَلُهُ كِبَاقِي فَقَهَاءِ
الْعَامَّةِ، أَدَاةً فِي يَدِهِ، وَسِتَارًا يُخْفِي وَرَاءَهُ أَطْمَاعَهُ
وَسُوءَ مَقَاصِدِهِ، لَكِنَّ الْإِمَامَ خَيَّبَ آمَالَهُ وَسَفَّهَ أَحْلَامَهُ،
فَلَمْ يَسْتَجِبْ إِلَى مُحَاوَلَاتِهِ، وَلَمْ يَقَعْ فِي شِرَاكِ
فَخَاخِهِ، بَلْ عَلَى النَّقِيضِ مِنْ ذَلِكَ، كَانَتْ آرَاؤُهُ
وَتَعْلِيمَاتُهُ فِي هَذَا الصَّدَدِ وَاضِحَةً، يَعْرِفُهَا كَافَّةً أَصْحَابُهُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهِيَ أَنَّ الْمَنْصُورَ وَأَمْثَالَهُ مِنَ الْحُكَّامِ،

طُغَاءُ مُغْتَصِبُونَ لِلْخِلَافَةِ وَأَنَّ التَّعَامُلَ مَعَهُمْ حَرَامٌ وَمَجْلَبَةٌ
لِغَضَبِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى فَقَدْ أَوْصَى الصَّادِقُ (ع) أَصْحَابَهُ
وَتَلَامِيذَهُ بِالْحَذَرِ الشَّدِيدِ . وَأَنْ يَتَجَنَّبُوا الْفُقَهَاءَ الَّذِينَ
يَعْمَلُونَ لِحِسَابِ السُّلْطَةِ ، وَأَنْ يَمْتَنِعُوا عَنْ مُرَاجَعَتِهِمْ ؛
كَمَا حَذَّرَهُمْ مِنَ الْجَهْرِ أَمَامَهُمْ بِالْخِصَامِ دَفْعاً لَشَرِّهِمْ ،
وَكَانَتْ وَصِيَّتُهُ الدَّائِمَةُ « كُونُوا لَنَا دُعَاءَ صَامِيَتِينَ » .

وَحِينَ لَمْ يَجِدْ الْمَنْصُورُ سَبِيلاً إِلَى أَصْحَابِ
الإِمَامِ (ع) ، بَدَأَ الْعَمَلَ عَلَى مُضَايَقَتِهِمْ وَتَشْتِيتِ
جُمُوعِهِمْ ، وَحَالَ دُونَ حُضُورِهِمْ مَجَالِسَ الإِمَامِ (ع) ،
وَكَانَ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى ، يُكْثِرُ مِنْ اسْتِدْعَاءِ الإِمَامِ إِلَيْهِ
بَيْنَ وَقْتٍ وَآخَرَ ، فَيُعَاتِبُهُ عَلَى مَوَاقِفِهِ مِنْهُ حِيناً أَوْ يُحَذِّرُهُ
حِيناً آخَرَ . وَهُوَ فِي قَرَارَةٍ نَفْسِهِ يَتَمَنَّى لَوْ يَقْتُلُهُ بِيَدَيْهِ ،
لَكِنَّهُ أَمَامَ عَجْزِهِ حِيَالُ الإِمَامِ كَانَ يَنْفُثُ أَحْقَادَهُ فِي
أَصْحَابِهِ ، فَيُعْتَقِلُ الْمَعْرُوفِينَ مِنْهُمْ وَيَسْتَجُوبُهُمْ لِيَبُوحُوا
بِأَسْمَاءِ الْآخَرِينَ ، وَنَتِيجَةً لَذَلِكَ فَقَدْ تَمَّ اعْتِقَالُ
الْكَثِيرِينَ مِنْ آلِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَ بَعْدَ تَعْذِيبِهِمْ
يَأْمُرُ بِقَتْلِهِمْ سَرّاً وَدَفْنِ جُثَّتِهِمْ فِي الْأَنْبَارِ ، غَيْرَ أَنَّ هَمَّهُ
الْكَبِيرَ كَانَ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنَ الإِمَامِ الصَّادِقِ نَفْسِهِ ، لَكِنْ

العناية الإلهية كانت تتدخل فتفسد عليه ما يبيته من مكر.

يُروى أن المنصور عزم يوماً على قتل الإمام ، فأمر بإحضاره إليه ليلاً ، وكان يقول : قتلي الله إن لم أقتله ! ولما أدخل إلى مجلسه سلم عليه فلم يرد السلام ، ورفع رأسه وهو يميز من الغيظ وقال : يا جعفر ، أنت الذي تؤلب علي الناس وتحرضهم على الثورة ؟ لكن الإمام ، وبهدوء شديد ، أنكر عليه ادعاءه ، وأثبت له أن ما وصله عنه من أقاويل مصدره خصوم آل البيت ، وبعد أخذ ورد سكن المنصور وقال : أظنك صادقاً !! ثم أمر بإعادته إلى بيته معززاً مكرماً ، ويقال إن المنصور استدعاه على هذا الشكل نحواً من ثماني مرّات ، وهو حاقد عليه يريد قتله ، ثم يتراجع بعد رؤيته ، ويجد نفسه مضطراً لإكرامه وتعظيمه .

ولم يكن مبعث هذا التراجع إحساساً مفاجئاً بالرحمة ، فالرحمة لا سبيل لها إلى قلب المنصور ، ألم يمزق بسيفه وبيديه جسد وزيره أبي مسلم قطعة قطعة ، وفي هذا المجلس بالذات ؟ ! ألم يسفك دم المئات من المؤمنين الطاهرين ؟ ! لا ، بل إنه الخوف ،



أَجَلٌ . كَانَ الْمَنْصُورُ الرَّهِيْبُ يُحَسُّ بِالْخَوْفِ حِينَ يَرَى
 الْإِمَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَلَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ أَمَامَ هُدُوءِ الْإِمَامِ
 وَوَقَارِهِ ، مِنْ الْإِحْسَاسِ بِالْإِحْتِرَامِ لِهَذَا الرَّجُلِ الْكَبِيرِ .
 فَيَبْرُرُ تَرَاجُعَهُ بَأَنَّ الْوُشَاةَ أَخْطَأُوا بِحَقِّ الْإِمَامِ هَذِهِ الْمَرَّةَ
 أَيْضًا ، وَيَقُولُ : أَظُنُّكَ صَادِقًا !!

وَيُرَوَّى عَنِ الْمَنْصُورِ قَوْلُهُ : كُنْتُ كُلَّمَا هَمَمْتُ
 بِقَتْلِهِ ، تَرَأَى لِي وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ، فَيَغْمُرُنِي الْخَوْفُ ،
 وَتَعَجْزُ يَدَيَّ عَنِ الْحَرَكَةِ .

انتشارُ مدارسِ الإمام :

تَابَعَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ دُرُوسَهُ فِي كُلِّ مُحِيطٍ ، وَكَثُرَ
 عِدَدُ تَلَامِيذِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَنْتَشِرُونَ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ ،
 وَيَنْشُرُونَ تَعَالِيمَهُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَقَدْ تَوَزَّعُوا إِلَى فِئَاتٍ
 مُتَعَدِّدَةٍ ، تَقُومُ كُلُّ مِنْهَا بِنَشَاطٍ مُعَيَّنٍ ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ
 يَجْلِسُ فِي الْمَسَاجِدِ وَيُعَلِّمُ النَّاسَ أَحْكَامَ الْفِقْهِ ،
 وَمَسَائِلَ الْأَصُولِ ، وَأَحْكَامَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ،
 وَبَعْضُهُمْ كَانَ يُعَلِّمُ التَّفْسِيرَ ، وَيَقُومُ بِالرَّدِّ عَلَى مَا يَطْرُقُ
 النَّاسُ مِنْ أَسْئَلَةٍ أَوْ إِشْكَالَاتٍ ، وَبَعْضُ الْآخَرِ يُتَصَدَّى
 لِلْمُنْحَرِفِينَ وَمَا يَنْشُرُونَهُ مِنْ مَفَاهِيمٍ خَاطِئَةٍ ، وَآخَرُونَ

يُطْلَعُونَ النَّاسَ عَلَى حَقَائِقِ الْكَوْنِ وَمَعْرِفَةِ الْخَالِقِ
سُبْحَانَهُ، وَأُمُورِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالتَّوْحِيدِ وَالْمَعَادِ،
وَالْإِمَامَةِ وَالْقِيَادَةِ، وَكَانَ دُعَاةُ الْإِمَامِ يَتَجَوَّلُونَ بِصِفَةِ
تُجَارٍ تَضْلِيلًا لِحَوَاسِسِ الطَّاغِيَةِ.

كَمَا أَنَّ الْمَنْصُورَ بِدَوْرِهِ لَمْ يَكُنْ لِيَقْعُدَ سَاكِنًا،
فَكَانَ يُوَاجِهُهُ مَدَارِسُ الْإِمَامِ (ع) بِالْمَعَارِضَةِ وَالشَّدَّةِ،
كُلَّمَا اسْتَطَاعَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، وَكَانَ يُرْسِلُ أَشْخَاصًا
لِحَضُورِ دُرُوسِ الْإِمَامِ، ثُمَّ يَنْطَلِقُونَ فَيَنْشُرُونَ الرُّوَايَاتِ
الْكَاذِبَةَ وَالْأَحَادِيثَ الْمُزَوَّرَةَ عَنْ لِسَانِهِ، كَمَا كَانَ
عُمَلَاؤُهُ يَرَوُونَ أَحَادِيثَ الْمَدِيحِ بِحَقِّ الْحُكَّامِ مِنْ بَنِي
الْعَبَّاسِ، وَيَدْعُونَ إِلَى طَاعَتِهِمْ، إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ فَقَدْ
خَصَّصَ الْمَنْصُورُ الْعَدِيدَ مِنَ الْفُقَهَاءِ، فَرَتَّبَ لَهُمُ
الْأَعْطِيَّاتِ، وَكَلَّفَهُمْ بِنِشَاءِ الْمَدَارِسِ الَّتِي تَعَارِضُ
مَدَارِسَ الْإِمَامِ، فَتَبَّتْ بَيْنَ النَّاسِ مَفَاهِيمٌ مَغْلُوطَةٌ،
وَأَحَادِيثُ مُزَوَّرَةٌ، وَقَدْ سَاعَدَ هَذَا الْعَمَلُ عَلَى ظُهُورِ
الْعَدِيدِ مِنَ الْمَذَاهِبِ الْكَبِيرَةِ فِي الْإِسْلَامِ. وَلَا يُمَكِّنُ
مَنْطِقِيًّا لِلْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يَتَقَاضُونَ رَوَابِتَهُمْ مِنْ
السُّلْطَةِ إِلَّا أَنْ يَعْمَلُوا وَفْقَ مَصْلَحَةِ هَذِهِ السُّلْطَةِ،
وَكَانَتْ مَصْلَحَتُهَا تَكْمُنُ فِي التَّصَدِّيِّ لِمَذْهَبِ الْإِمَامِ

الصَّادِقِ (ع) وَتَسْفِيهِ أَحْكَامِهِ، مَعَ أَنَّهُ هُوَ مَذْهَبُ آلِ
بَيْتِ الرَّسُولِ، نَقْلُوهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص) مُبَاشَرَةً؛
وَلَكِنْ هِيَ هَاتِ؛ فَنُورُ الشَّمْسِ لَا يُمَكِّنُ حُجْبُهُ بِإِصْبَعٍ
أَوْ أَصَابِعَ.

وَمِمَّا يُذَكَّرُ فِي هَذَا الْمَقَامِ، أَنَّ الْإِمَامَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ. تَصَدَّى بِنَفْسِهِ لِكُلِّ هَذِهِ الْأَنْحِرَافَاتِ، وَعَقَدَ
لِهَذَا الْأَمْرِ مَجَالِسَ وَمُنَاطَرَاتٍ كَثِيرَةً، فَنَاطَرَ فَرِيقًا مِنْ
الْعُلَمَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ، كَمَا نَاطَرَ الزَّنَادِقَةَ وَالْمُلْحِدِينَ،
بِأَسْلُوبٍ هَادِيٍّ رَصِينٍ، مَدْعُومٍ بِالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ،
الَّتِي لَمْ تَدْعُ لِمُنَاطَرِيهِ مَخْرَجًا إِلَّا التَّسْلِيمَ بِصَوَابِ
رَأْيِهِ.

اسْتَطَاعَ تَلَامِيذُ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ
يَجْمَعُوا مَا يَقْرُبُ مِنْ أَرْبَعِمِئَةِ كِتَابٍ، كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ،
ضَمَّنُوها أَقْوَالَ الْإِمَامِ بَعْدَ أَنْ سَمِعُوها مِنْهُ، وَحَفِظُوهَا
فِي تِلْكَ الْكُتُبِ بِكُلِّ دِقَّةٍ. وَقَامَ بَعْدَ ذَلِكَ عَدَدٌ مِنْ
عُلَمَاءِ الشَّيْعَةِ الْكِبَارِ، فَجَمَعُوا زُبْدَةَ تِلْكَ الْكُتُبِ
الْأَرْبَعِمِئَةِ، وَاسْتَخْلَصُوا مِنْهَا أَرْبَعَةَ كُتُبٍ كَبِيرَةٍ، هِيَ
الْكُتُبُ الْأَرْبَعَةُ الشَّهِيرَةُ، الَّتِي تَشْمَلُ أَكْثَرَ الرُّوَايَاتِ فِي
الْفِقْهِ وَالْأَحْكَامِ عَنْ الْإِمَامِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ (ع)،



بِالإِضَافَةِ إِلَى كُتُبِ غَيْرِهَا فِي عِلْمِ طَبَقَاتِ الْأَرْضِ ،
وَعُلُومِ النَّبَاتِ وَالْكِيمِيَاءِ وَالْجُغْرَافِيَةِ ، وَعُلُومِ أُخْرَى ،
وَقَدْ تَمَّ جَمْعُهَا بِوَسْطَةِ تَلَامِيذِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ (ع) ، وَلَا
يَزَالُ قِسْمٌ مِنْهَا بَاقِيًا حَتَّى الْيَوْمِ .

اسْتِشْهَادُ الْإِمَامِ :

قِيلَ لِلْمَنْصُورِ فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ ، وَكَانَ قَدْ أَتَمَّ
الْقَضَاءَ عَلَى الْكَثِيرِينَ مِنْ آلِ عَلِيٍّ (ع) : الشُّكْرُ لِلَّهِ يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَدْ تَخَلَّصْتَ أَخِيرًا مِنْ كُلِّ
خُصُومِكَ . . قَالَ الْمَنْصُورُ : لَا ، فَالْأَمْرُ لَيْسَ كَذَلِكَ ؛
فَأَنَا لَنْ أَحْسَّ بِالرَّاحَةِ طَالَمَا كَانَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَى
قَيْدِ الْحَيَاةِ . .

لَمْ يَمُضِ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ وَقْتُ طَوِيلٍ ، حِينَ
أُعْلِنَ أَنَّ الْإِمَامَ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَدْ تُوُفِّيَ فِي
الْمَدِينَةِ مَسْمُومًا . وَكَانَ فِي الْخَامِسَةِ وَالسَّتِينَ مِنْ عُمْرِهِ
الشَّرِيفِ .

وَلَمَّا وَصَلَ خَبَرُ اسْتِشْهَادِ الْإِمَامِ إِلَى الْمَنْصُورِ ،
بَدَأَتْ دُمُوعُ التَّمَسَّيحِ تَنْهَمِرُ عَلَى وَجْهِهِ وَهُوَ يَقُولُ : إِنَّا
لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . ثُمَّ سَارَعَ فَكَتَبَ إِلَى وَالِيهِ عَلَى

المدينة، محمد بن سليمان، كتاباً جاء فيه: إن كان جعفر بن محمد قد أوصى إلى رجلٍ بعينه، فقدّمه واضرب عنقه. يريد بذلك أن يتخلص من وصي الإمام عليه السلام. لكن الإمام كان أقدر منه على ترتيب الأمور، وأصوب إلهاماً وتفكيراً. فقد نصّ عليه السلام على إمامة ولده موسى بن جعفر من بعده، أمام عددٍ من أصحابه المخلصين، ثمّ عمّد إلى كتابة وصية، هي التي وقعت في يد عامل المنصور على المدينة فيما بعد، وجاء فيها أنه أوصى إلى خمسة وهم: أبو جعفر المنصور، ومحمد بن سليمان والي المدينة، وعبد الله الأفتح، ابن جعفر، وموسى بن جعفر، وحميدة زوجته.

حارّ الوالي في أمره، فكتب إلى المنصور يعلمه بفحوى الوصية، وحين عرّف المنصور جليّة الأمر اسقط في يده وقال: ليس إلى قتل هؤلاء من سبيل!! وهكذا فوت الإمام بحسن تقديره وثاقب تفكيره على المنصور فرصة البطش بالإمام من بعده.

كانت وفاته رحمه الله سنة ١٤٨ للهجرة، ودُفن بالبقيع إلى جانب أبيه وجدّه، وجدّته الزهراء، وعمّه

الحسن رضوانُ الله وسلامُهُ عليهم . وكانت حياته الشريفة حافلة بالأحداث الجسام ، في فترة حساسة من التاريخ الإسلامي ، وعهد يشكّل منعطفاً هاماً في مسيرة الحياة الإسلامية ، طبعه عليه السلام بطابعه الشريف ، حتى سُمّي بحق «عصر الإمام الصادق» ، كان عصرًا اختلطت فيه المفاهيم ، وتضاربت الآراء والمذاهب ، يأخذ بعضها - على كثرتها - برقاب بعض ، واحتاج الأمر إلى فصل صدق يميز خبيثها من طيِّبها ، فكان الإمام الصادق عليه السلام خير فصل لهذا الأمر . ولا تزال تعاليمه ومواقفه إلى اليوم فصل صدق بين الحق والباطل . ولا تزال كلماته وحكمه مناراً يهدي إلى سواء السبيل .